

محاضرة وصايا مهمة لطالب العلوم الشرعية

لفضيلة الشيخ
محمد بن هادي المدخلي

[شريط مفرغ] 

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد..

ففي هذه الليلة التي أسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يبارك فيها نرحب بشيخنا الفاضل: الشيخ أبي أنس محمد بن هادي حفظه الله ورعاه، نرحب كذلك بالإخوة الكرام الذين حضروا مثل هذا المجلس الذي نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يكون مجلساً مباركاً نافعاً، وتستمعون فيه بإذن الله إلى توجيهات مشايخنا الأجلاء بما ينتفع به طالب العلم الذي ما جاء هنا إلا ليحصل علماً ويستفيد في أمر دينه ويرجع فيما بعد إلى بلده داعياً ومفيداً لإخوانه الذين هم من ورائه، فليفضل شيخنا -حفظه الله- مشكوراً مأجوراً مسدداً بإذن الله.

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين-، أما بعد:

فإنها لفرصة سعيدة أن أجتمع مع أبنائي وإخواني في هذا اللقاء الذي نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يجعله نافعاً مباركاً حُجَّةً لنا لا علينا، وأشرف ما عمرت به المجالس ذكر الله -تبارك وتعالى-، وأعظم ما يذكر به الإنسان نفسه وإخوانه ما كان من وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه ولأئمة في آخر حياته -عليه الصلاة والسلام-، وصية مادام بعدها -صلى الله عليه وسلم- في الحياة إلا قرابة مائة واثنين وثمانين يوماً، هذه الوصية هي الوصية بكتاب الله -تبارك وتعالى- والوصية بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذه آخر ما وصَّى به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد منصرفه من حجة الوداع؛ إذ وصى أصحابه -عليه الصلاة والسلام- كما في خطبته بغدير خم حينما قام بأصحابه -صلى الله عليه وسلم- ورضوان الله عليهم أجمعين واعظاً ومذكراً وناصحاً وهو الشفيق الرحيم -صلوات الله وسلامه عليه-، فكان مما وصى به أن وصاهم بكتاب الله -تبارك وتعالى-، ووصاهم بسنته -صلى الله عليه وسلم-، ثم وصى بأهل بيته صلوات الله وسلامه عليه، فهذه الوصية العظيمة ينبغي لكل واحد منا أن يستحضرها، فكتاب الله -تبارك وتعالى- هو النور وهو الشفاء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174]، ﴿وُنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ

نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53) ﴿[الشورى: 52-53].

هذا الكتاب المعجز الذي تحدى الله - سبحانه وتعالى - به أهل الفصاحة والبلاغة، تحداً بأن يأتيوا بمثله، وتحداً بأن يأتيوا بعشر سور مثله، وتحداً بأن يأتيوا بسورة من مثله، ولم يفعلوا كما قال الله - سبحانه وتعالى - في ذلك عنهم، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، فأعجزهم وقهرهم على أن يضارعوه فصاحة وبلاغة وهم سادات الفصاحة والبلاغة فكان هذا التحدي لهم بشيء معلوم عندهم أصله، حتى يستقر في النفوس معجزة هذه الرسالة التي جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم -، فهذا الكتاب لا تنقضي عجائبه كلما قرأت كلما ازددت فيه علماً، كلما قرأت كلما فُتح عليك فيه فتحٌ من الله - تبارك وتعالى -، فينبغي لكل مسلم وطالب العلم خاصة أن يحرص على هذا القرآن قراءة بإقامة حروفه ومبانيه، وتدبراً وتفكيراً فيما جاء فيه من الأوامر والنواهي والأخبار عن الأمم السابقة وعما سيكون بعد، فإذا تدبر الإنسان في هذا حق التدبر أورثه العلم النافع وأورثه العمل الصالح؛ لأن الله - جل وعلا - أنزل الكتاب لذلك ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، فهذا العلم رأسه كتاب الله - تبارك وتعالى -، فينبغي للإنسان أن يحرص على قراءة تفسير هذا الكتاب تفسير معتمد معتبر، تفاسير أئمة السنة، حتى يعلم معاني الآيات ويتدبر هذه المعاني ويتأمل فيها، وأعظم ما نزل له هذا الكتاب إثبات وحدانية الله - تبارك وتعالى - بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والناظر في كتاب الله العزيز يجد الآيات في هذا لا حصر لها؛ بل القرآن على ما هو بين أيدينا وترتيبه في المصحف من الفاتحة إلى الناس، أول أمر يقابلك فيه الأمر بعبادة الله - تبارك وتعالى - وحده لا شريك له، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]، هذا أول أمر في القرآن كله، إذا ما بدأت تقرأ القرآن الفاتحة البقرة أول أمر يقابلك هذا أمر بالتوحيد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) ﴿[البقرة: 21]، هذا أول نهي في القرآن؛ نهي عن الشرك، فأول أمر في القرآن على حسب ترتيب المصحف أمر بالتوحيد، وأول نهي في

القرآن على ترتيب المصحف فهي عن الشرك، وبعد ذلك ادخل في هذا الكتاب أقرأ تجد كل الآيات متضمنة لذلك الذي تقدم.

الشاهد أن تدبر القرآن والتفكر فيه والتأمل لمعانيه يفيد الإنسان علوماً جمّة، ويفيد الإنسان خوفاً من الله -تبارك وتعالى-، ويفيد الإنسان استقامة على أمر الله -تبارك وتعالى-، ويفيد الإنسان صلاحاً في نفسه وإصلاحاً لمجتمعها بإذن الله -تبارك وتعالى-، فلا ينبغي لطالب العلم -وهذا نلاحظه وليس إن شاء الله هو موجه إليكم لكن نلاحظ في عموم المسلمين وعموم طلبة العلم من غير (تخصيص)- ضعف الإقبال على القراءة في التفسير، تفسير كتاب الله -تبارك وتعالى-، يعني تجد ما شاء الله الاشتغال بالحفظ في المناظير من هنا ومن هنا حتى بعضهم حفظ القرآن لكن تجد اعتناؤه بالقراءة في كتب التفسير والتفاسير الأثرية السلفية بالذات هذا قليل، فينبغي لنا جميعاً ألا نغفل هذا ولا نضعف فيه؛ بل يجب علينا أن يكون هذا أول شيء عندنا؛ لأننا نحن تعبدنا بهذا القرآن ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا

الْأَلْبَابِ [الزمر:9]، أصحاب العقول هؤلاء الذين يعقلون عن الله خطابه ويفهمون مراده هم الذين فهموا هذا الكتاب الذي أنزل عليهم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَؤُا

الْأَلْبَابِ [ص:29]، فالتدبر هو الذي لأجله أنزل هذا الكتاب، والتفهم هو الذي لأجله أنزل هذا الكتاب؛ لأن الإنسان إذا تدبر وفهم وتبصر فيما دل عليه هذا الكتاب التزم بما دل عليه حلاً وحضراً، ثم بعد ذلك ينطلق على علم، فلا يجمل لطالب العلم -بل يشين طالب العلم- ألا يعرف إجمالاً معاني هذه الآيات التي تعبد الله تعالى بها، يتلوها صباح مساء ولا يعرف معناها، ثم يشين بطالب العلم ألا يعرف الناسخ من المنسوخ، الخاص من العام، المطلق من المقيد في كتاب الله -تبارك وتعالى-، وهذا لو قرأ كتاباً واحداً من كتب التفسير المعتبرة عند أهل السنة يكفيه بإذن الله، ثم يجعل بعد ذلك ما زاد إضافة في التوسع، لكن لابد لطالب العلم أن يقرأ ولو كتاباً واحداً في التفسير، ولا أقل من أن يقرأ البغوي أو تفسير ابن كثير، وعندني أن تفسير ابن كثير أحسن، تفسير ابن كثير أحسن وأجمل؛ لأنه مع أنه متأخر عن البغوي إلا أنه -رحمه الله تعالى- جمع بين الرواية وبين الدراية، وفي الجملة لأعم الغالب الأغلب بعد بكتابه عن الواهيات -وإن كان وجدت فيه-، في الجملة نقول وجدت فيه، بعد بكتابه عن الواهيات والمنكرات والموضوعات؛ فمثل هذا الكتاب حري بنا ما هو نقتنيه .. نقرأه، أما الاقتناء فإن شاء الله

حاصل؛ لكن قراءة مثل هذا الكتاب ضرورية جداً، وأنا أذكر لكم مثلاً: الآن لما نقرأ في تيسير العزيز الحميد .. نقرأ في فتح المجيد تجد باب قول الله -تبارك وتعالى- والحديث تحته، ثم تجد الشارح أكثر ما ينقل عن ابن كثير، فالكتاب هذا عمدة، وأيضاً من ضعفت به المهمة- وكلنا ذلك الرجل، المهمة اليوم نعم..، يعني كما قال شيخ شيوخنا إلي الله نشتكي ضيق الوقت وضعف المهمة-، فالشاهد لا أقل من أن يعرج على اختصار الشيخ أحمد شاكر -رحمة الله عليه-، وقد ذكرت لكم -يمكن هذا في مجلس سابق- الذي هو عمدة التفسير في اختصار تفسير ابن كثير في ثلاثة مجلدات؛ فهذا الكتاب من أحسن .. بل أنا لا أعلم اختصاراً لابن كثير أحسن منه في الاختصارات الموجودة كلها الآن، أجمل اختصار لابن كثير هذا الكتاب: عمدة التفسير، فقد تكلمنا -أظن- تكلمنا عليه في اللقاء اللي كان في (الخليف) أظن أننا تكلمنا أو أشرنا إلى شيء من ذلك، لخصه تلخيصاً جميلاً، فلتبّع المصنف -رحمة الله عليه- فيما فاته من الإسرائيليات، وحذف المكررات حذفها، التوسع في اللغويات حذفها، التوسع طبعاً، يعني الأصل أبقاه أما التوسع يعني المترادفات حذف الترادف، التاريخيات .. الأخبار التاريخية حذفها، الأحاديث الضعيفة التي لا ترتقي حذفها، أسانيد الأحاديث التي يسوقها الحافظ ابن كثير من المسند ؛ مسند أبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه يسوق بالإسناد حذفها، .. فلان فلان فلان حذفها، ما أبقى إلا الصحابي، ما يتعلق أيضاً بالأحاديث الطويلة التي أحياناً تأخذ مع ابن كثير أحياناً صفحة، أو صفحة إلا، أو نصف صفحة، اقتصر على موضع الشاهد منه، نص على هذه النقاط ثمان نقاط أو عشر نقاط، الشاهد هذّب هذا الكتاب في هذا الكتاب، وسّماه عمدة التفسير في اختصار تفسير ابن كثير أو من ابن كثير، فهو كتاب مختصر؛ فالبادئ يبتدئ به، ثم بعد ذلك لا يضيره أن ينتقل إلى تفسير ابن كثير، فالشاهد لا بد له من قراءة كتاب في التفسير حتى يفهم كتاب الله -تبارك وتعالى-، ونحن عندنا -وأولكم أنا- عندنا ضعف في هذا الجانب في جانب الاعتناء بتفسير القرآن العظيم، ثم بعد ذلك وصية النبي - صلى الله عليه وسلم- لأصحابه الثانية، وصيته بسنته -صلوات الله وسلامه عليه- والاعتناء بها: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي))، فالسنة النبوية هي بيان لهذا القرآن، والقرآن حَمَل وجوه، والسنة صاحبها قوي الحجة، وإذا خاصم أهل الأهواء بالقرآن فأنت تخصمهم بالسنة؛ لأن السنة محكمة مبينة المراد للذي أجمل في هذا الكتاب، أو أجهل في هذا الكتاب، أو أطلق في هذا الكتاب، أو عُمم في هذا الكتاب، يقول شيخ شيوخنا في اللؤلؤ:

وبعد إن أشرف العلوم ** بعد كتاب الصمد القيوم

علم الحديث إذ هو البيان ** لما به قد أنزل القرآن

فسنة النبي وحي ثاني ** عليهما قد أطلق الوحيان

وإنما طريقها الرواية ** فافتقر الراوي إلي الدراية

لصحة المروي عن الرسول ** ليعلم المردود من مقبول

لاسيما عند تظاهر الفتن ** ولبس إفك المحدثين بالسنن

فقام عند ذلك الأئمة ** لخدمة الدين ونصح الأمة

فخلصوا صحيحها من مفترى ** حتى صفت نقية كما ترى

فهؤلاء ما قصرُوا -رحمة الله عليهم-، قربوا لنا هذه السنة، وجهدوا كل الجهد في تصفيتها، ولهذا يقول -رحمة الله عليه-:

ثم إليها قربوا الوصولا ** لغيرهم فأصلوا أوصولا

و لقبوا ذاك بعلم المصطلح ** ثم عليه الكل منهم اصطلاح

وزاد من جا بعدهم عليها ** بحسب احتياجهم إليها

وكل بحث أهل هذا الفن ** في حال الإسناد وحال المتن

إلي آخر منظومته الجميلة في المصطلح، التي ضمت كل مباحث علوم الحديث، وهي قرابة ثلاثمائة وأربعين بيتاً، فهي من أنفع المناظيم ومن أجملها، فالشاهد أن أشرف العلوم بعد كتاب الله -تبارك وتعالى- الصمد القيوم؛ علم الحديث هو البيان لهذا القرآن؛ لأنه مهمة النبي -صلى الله عليه وسلم- التي كلفه الله -سبحانه وتعالى-، ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]، فهذا الكتاب المنزل هو القرآن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بيانه من عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتفسيره من عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن هنا.. من هنا قام أئمة السنة -رحمهم الله تعالى- بحشد كل ما استطاعوا من الأسانيد التي تروى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تفسير الكتاب

العزیز، ثم بعد ذلك انتقلوا إلى أصحابه -رضي الله تعالى عنهم- فكتبوا كتب التفسير المسندة، فكتب التفسير المسندة لأهل الحديث ولأئمة الحديث ولأساطين الحديث؛ ابن جرير الطبري، ابن أبي حاتم، ابن المنذر، ابن مردويه، هؤلاء محدثين من فحول أئمة الحديث قبلهم تقرأ ما في كتاب البخاري في كتاب التفسير، في النسائي في التفسير، في الترمذي في التفسير، وهكذا تجد ما استطاعوا حشده من أقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالأسانيد إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، فهؤلاء أهل الحديث خدموا القرآن، خدموا السنة النبوية في جميع أبوابها، فمن خدمتهم للقرآن جمع مرويات التفسير التي وردت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن أصحابه -رضي الله تعالى عنهم- وعن التابعين -رضي الله تعالى عنهم جميعاً-، فجاءت كتبهم جامعة، فلهذا كان صاحب السنة أعرف الناس بمراد الله وأعرف الناس بمراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والبحث في تاريخ أهل السنة لا تجد صاحب سنة مضطرب، وأنا أقولها لكم الآن ولكم الحبل ممدود والتاريخ مفتوح تجدون صاحب سنة مضطرب؟ أبداً؛ بل أصحاب السنة أثبت من الجبال الراسية، لماذا؟؛ لأنهم الناس ينتمون إلى فلان وفلان، وهم ينتمون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلهذا كان أعظم الأثر في نفوسهم، فالفتن لا تعصف بهم، والأهواء لا تعصف بهم، والبلايا لا تعصف بهم، الابتلاءات لا تعصف بهم، لم؟؛ لأنهم عاشوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحظة بلحظة في سرائه وضرائه -عليه الصلاة والسلام-؛ شدته ورحائه؛ سلمه وحره؛ ابتلائه -صلى الله عليه وسلم-؛ صحته مرضه؛ إقامته سفره -عليه الصلاة والسلام-، فكلما نزلت بهم حادثة وإذا بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المقتدى به أمامهم، فلا يجيدون عما نقلوا عنه بالأسانيد الصحيحة قيد أنملة، ويجدون لهم في هذا عزي، ولذلك تجد هؤلاء الأئمة -رحمة الله تعالى عليهم- صاروا محل القدوة، فالإنسان إذا أراد أن يثبت على أمر الله -جل وعلا- فعليه أن يقرأ هذه الكتب التي ورثها لنا هؤلاء -رحمة الله تعالى عليهم-، فكتب السنة ينبغي الاعتناء بها، يجب الاعتناء بها قراءة وتفهماً وتدبراً وتعلماً ونشراً بين الناس؛ لأن هذه السنة بيان لكتاب الله -تبارك وتعالى-، والناس والله الحمد يفرقون إذا تكلم المتكلم بين فلان من الناس يقول: عندي كذا ورأي كذا، وبين من يقول: روى البخاري في صحيحه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في المسألة كذا، شتان إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فرق بين من يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبين من يقول: أنا نظري ورأيي كذا؛ ولهذا كان مالك والشافعي وأحمد مدرسة الأثر كانت حجتهم دامغة وقوية وغالبة في

مقابل من؟ في مقابل أهل الرأي، لأن أهل الرأي أهل قياس واستحسان، وحملهم على ذلك قلة المروي عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أهل السنة والحديث أهل اتباع ورواية؛ فلهذا كانت أحكامهم موفقة ومسددة، لم؟؛ لأنها مأخوذة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفرق بين من يأخذ من النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن يأخذ من اجتهاده؛ لكن فرق الأولون كانوا يعترفون ويقولون: إذا صح الحديث فنحن نذهب إليه، المتأخرون جاءوا وتعصبوا لهم مع معرفتهم بأن قولهم هذا مخالف للحديث فإذا كان المتقدم معذور، ما عذر المتأخر؟، لا عذر له، المتقدم لم يصل إليه هذا الحديث ويقول: "نحن رجال نقول اليوم القول ونرجع عنه غدا، لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم دليلنا"، كأبي حنيفة قليل البضاعة -رحمه الله- في الحديث؛ الرواية عنده قليلة، فاجتهد بقدر طاقته وهذه مقالته، ولكن ما عذر الذين يتعصبون له ويعرفون الحديث ويتركونه عمداً، هذا لا يجوز؛ بل يُخشى على صاحبه، كما قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

فالشاهد: أن صاحب السنة صاحب ثبات، فعلى طالب العلم بعد اعتنائه بكتاب الله -تبارك وتعالى- أن يُقبل على سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأئمة الحديث قد ضربوا في هذا الباب بأعلى ما يستطيعون نصحاً لهذه الأمة حينما قاموا بما قاموا من تصفية وتنقية هذه السنة النبوية من الشوائب؛ فصنفوا فيها المصنفات، ورتبوها على أنواع متعددة، إما على المسانيد، وأما على الموططات، وإما على الجوامع، وإما على المستخرجات، وإما على المستدركات، وإما على المعاجم، وإما ... وإما ... إلى آخره، والمقصد من هذا كله جمع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم عملوا عملاً آخر وهو بحثهم عن نقلة هذه الروايات وتدوين أحوالهم وأخبارهم؛ حتى إنك لترى الرجل بادٍ أمامك كأنك تعيش معه، سيرته الذاتية أمامك، صادق، كاذب، سيء الحفظ، يخطي، يخالف، اختلط، متى اختلط، متى قدم البلد الفلاني، أول من سمع منه، آخر من حدث عنه، وهكذا، ما تركوا شيئاً في هذا الجانب إلا ودونوه؛ لأجل حفظ هذه السنة النبوية، لهذا يقول شيخ شيوخنا كما سمعنا :

لاسيما عند تظاهر الفتن ** ولبس إفاك الحداث بالسنن

فقام عند ذلك الأئمة ** بخدمة الدين ونصح الأمة

فخلصوا صحيحها من مفترى ** حتى صفت نقيه كما ترى

ألفوا في الموضوعات، يَبْنُوا الأحاديث المكذوبة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، الأحاديث الواهيات في المشتهرات على الألسن، ما تركوا باب إلا وصنفوا فيه، القصد منه حماية هذه السنة الواردة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لتصل إلى أمتة نقية صافية؛ لأنهم أدركوا أن هؤلاء أهل الإفك والبهتان أهل الأهواء أهل البدع بدؤوا من أول ما بدؤوا الدس في هذه السنة فهم لهم بالمرصاد، فسطروا لنا هذه السنة فهي بين أيدينا والله الحمد، لو أراد إنسان أن يكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حرف واحد لما استطاع، وهذا مما خص الله به هذه الأمة، فطالب العلم ينبغي له -وأقول ينبغي بمعنى يجب- يجب عليه أن يكون عالماً بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإلا ما معنى هذا العلم إذا لم يكن بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-،

فالعالم قال الله قال رسوله ** قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ** بين الرسول وبين رأي فلان

فالشاهد: هذا هو العلم، قال فلان وتسوق السند، قال فلان وتسوق السند، هذا دون النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكيف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- أحاديثه مسطرة عندنا في الأسانيد، وكل رجل معروف حاله عندنا، يُنخل حاله ويُوزن ويُحكم عليه بالحكم الذي يصح عليه، ولهذا يقول الشافعي: من علم الحديث قويت حجته، فانظر إلي من يفتي وينتهي في فتواه إلي قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبين من يفتي وينتهي في فتواه إلي رأيه واستحسنه، -كما قلنا قبل قليل- شتان، الناس ما تتق به، إذا جاء المفتي ويقول والدليل قوله -صلى الله عليه وسلم- كذا وما عارضه من كذا وكذا فهو ضعيف لا يصح، خلاص أحكم عليك، فهذا يكون ملأ السمع والبصر وتطمئن إليه النفس، فالأخذ بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- دائماً وأبداً قوي الحجة فائمة الحديث -رحمة الله تعالى عليهم- ما تركوا شيئاً إلا وقاموا ببيانه في باب خدمة سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فصنفوا في التفسير بالمأثور، وصنفوا -رحمهم الله تعالى- في العقائد لما جاءت البدع؛ صنفوا في العقائد بالأسانيد، كتبوا كتب خاصة باسم السنة ويقصدون به سنن العقائد؛ ردوا فيها على أنواع المبتدعة جميعاً، وبينوا معتقد أهل السنة والجماعة الموروث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فجاءت هذه الكتب ثروة ضخمة هائلة والله الحمد، ونحن في هذا العصر بالذات هذه الأيام قامت علينا حجة الله -تبارك وتعالى- بما لم يكن على

من سبقنا في القريب، فإن أكثر هذه الكتب قد طبعت، وطبعت مخدومة خدمات علمية جيدة في الجملة، وهي بين أيدينا فما على طالب الحديث وطالب السنة وطالب العلم عموماً إلا أن يفرغ نفسه لهذا العلم، واعلموا أن أعدى شيء للعلم هو أن تقسم معه في الوقت لمن لا تصح له القسمة، من الذي لا تصح له القسمة؟ العاقل الباطل الذي لا فائدة له، الصديق الذي لا تستفيد منه، والابن والأهل في غير ما يجب لهم فوق حاجتهم من التوسعات في المباحات التي تهلك الأوقات، والاشتغال بالدنيا فوق ما يجب، هؤلاء ثلاثة ليست لهم قسمة في هذا الباب فإذا ذهبت وأعطيتهم فوق حقهم فقد أهدرت حقك فلا تلومن إلا نفسك، فالعلم يريد حصراً وحسباً للنفس؛ فإن مخالطة الناس على أقسام أربعة:

- 0 منهم من خلطته كالدواء، هذا تأخذه وقت المرض،
- 0 ومنهم من خلطته كالغذاء، هذا تأخذه وقت الجوع،
- 0 ومنهم من خلطته كالهواء، ما تستطيع تستغني عنه،
- 0 ومنهم من خلطته داء والعياذ بالله، كما ذكر ذلك ابن القيم وغيره رحمهم الله.

فالذي خلطته داء: هذا الصديق العاقل الباطل الذي لا تستفيد منه؛ بل يذهب وقتك كله بما لا فائدة فيه.

ومن كانت خلطته كالدواء هذا لا تخالطه إلا وقت محدود يعني إذا ضاق الصدر تأخذ معه بتوسعة الصدر في المباحات، فتجلس معه بتوسعة الصدر فيما أباحه الله -تبارك وتعالى-، هذا الثاني.

ومنهم من مخالطته كالغذاء من الأقارب ونحوهم، لا بد أن تجلس معهم فتعطيهم الوجبة، تأخذ هذه الوجبة إذا لم تأخذها مت، فالأهل الزوجة والأولاد والوالد والوالدة والأصدقاء المقربين الأقارب، هكذا تعطيهم هذا الوقت الذي أوجب الله -سبحانه وتعالى- عليك، وما عدا أنت لا تجلس أربعة وعشرين ساعة تأكل .. لا أنت مشغول.

وأما الذي خلطته كالهواء لا يستطيع تركه إذا انقطع عنك مت، فهذا الذي يعينك على دينك، يذكرك بالله -تبارك وتعالى- في رؤيته، ويذكرك بالله -تبارك وتعالى- في كلمته، هذا هو نعم الصديق الذي يعينك على طاعة الله -تبارك وتعالى-؛ فالزمه واحرص عليه واستكثر من مثله، وللإنسان أن يعتبر وينظر من يصلح أن يخالطه في هذا الجانب إذا كان يعينك على طاعة الله -تبارك وتعالى-؛ فليعض على

هذا بالتواجد، وإن كان غير ذلك فلا، فإذا ما حرص الإنسان على وقته على هذا النحو ذهب الوقت، والوقت كما يقولون:

أنفس ما عنيت بحفظه** وآراه أسهل ما عليك يضيع

لأن شرح الشباب ينتهي، وقوة الحافظة والإدراك والتوقد والتدبر والحيوية والنشاط هي وقت الشباب، فالإنسان إذا أضاع شبابه يأتي بعد ذلك في وقت الكهولة والمشيب يصعب عليه أن يحصل، وإن حصل فتحصيله يكون ضعيفاً.

فأنا أوصي نفسي وأبنائي جميعاً بأن نحرص على هذا، وأن نحرص كل الحرص على أوقاتنا، ولا نصرفها إلا في السلعة التي تليق بدفع هذا الثمن فيها، فإن الوقت هو حياتك فإن دفعته على غير مقابل فأنت المغبون.

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- لنا ولكم جميعاً التوفيق، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يأخذ بأيدينا وأيديكم جميعاً، وأن يثبتنا وإياكم على الحق حتى نلقاه، كما أسأله -جلا وعلا- أن يعيذنا وإياكم جميعاً من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يعصمنا وإياكم فيما بقي من أعمارنا وأن يبارك لنا في أعمالنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.



الأسئلة:

س1/ هذا يسأل: أولاً نبدأ بالصحيح، يقول: هل الصحيح في الحديث (كتاب الله وعترتي) أم (وسنتي)؟

ج/ ورد هذا وورد هذا كله صحيح، السنة وردت، والعترتة وردت، أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فإن عترتة الرجل هم قرابطة الأدين، قرابطة الأدين من أهل بيته، هؤلاء هم العترتة، وورد هذا وورد هذا، وكلاهما صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهنا يقول: السؤال الثاني: ما حكم مماشة الحزبيين أو من عُرف بالحزبية، بحجة أنه يعرف ما عند هؤلاء؟

ج/ هذا من أعجب وأغرب الأدلة وأسقط الأدلة وأضعفها، فأظن أن كل عاقل يربأ بنفسه عن أن يماشي المطعون في مروءته وكرامته أمام الناس في الشارع العام من الفسقة والفجار من أهل الفساد والريب ..، نعم الذين يعرفهم الناس بالشر تستحي أن يراك الناس معه، لم؟ حتى لا ينسبك إليه، فإذا كان هذا في أمور الفسق فكيف بأمور البدع.

فأنا أقول مماشة الحزبي والمبتدع لا تجوز، لماذا؟ لأنك إذا ماشيته -ولو كنت من أهل السنة- أقل شيء عند من لا يعرف ينسبك إلى من؟ إليه، ينسبك إليه، إذا رآك تمشي معه، خلاص قال: هذا صديقه فلان، وهكذا ذماً ومدحاً، فإذا جاء فلان صديق العالم الفلاني قالوا: هذا تلميذ فلان، يتوصلون به إلي ما؟ إلي تزكيتته، صح ولا لا؟، والعكس إذا جاء المنحرف يقولون هذا صاحب فلان يتوصلون به إلي ما؟ إلي الطعن فيه وجرحه، فأنت إذا ماشيت هؤلاء ولو كنت تزعم مغالطاً لنفسك أو انطلت عليك هذه المغالطة؛ فإن الناس سينسبونك إليه، ولهذا قديماً قيل:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ** فكل قرين بالمقارن يقتدي

ما يماشيه إلا وهو على مذهبه، فحينئذٍ تجر إلي نفسك الشبهة وتجرح إليها الريب والظن السيئ فيها، في حين أنك لست على طريقتهم، فلو ما جاءك إلا هذا فكفى به سبباً في أن تبتعد عن أهل الأهواء، فكيف بك لو وقعت بسبب مماشتك في بدعته؟، وقديماً قيل:

و لا تصحب أخا الجهل و إياك وإياه

فكم من جاهل أردى حليما حين أخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

فالمصيبة العظمى هي (الثانية..): وهي أنك بكثرة المجالسة له تنتهي بالمجانسة له، فإن المجالس مجانس في الغالب، والدليل على ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)).

و لذلك نظم الشاعر هذا في بيتين كما يعلمه كثير منا، وهو:

إن القلوب لأجناد مجندة ** قول الرسول كلام ليس يختلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ** وما تناكر منها فهو مختلف

ما يمكن أن يلتقي هذا مع هذا أبداً، موجب مع موجب ما يلتقي، تأتي بالموجب مع الموجب يفر منه، ليش؟، الموجب عندك أنت قوة السنة والإيمان واليقين والتمسك والسير على طريقة السلف الصالح، وذاك الموجب عنده الهوى والبدعة، فكلما تقاربتم كلما تنافرتم، ما يمكن أن تلتقوا، كل واحد يدفع الثاني، ما تجتمعان أبداً؛ كالتنوين والإضافة، كأني تنوين وأنت إضافة فحيث تراني لا تحل مكاني، لا تجتمعون أبداً؛

لكن الموجب والسالب يجتمعان، هذا ضعيف فيركب عليه الموجب، فإذا ضعف صاحب السنة ركبه صاحب البدعة وجره إلى بدعته، ضعف لأسباب إما بقله علمه وضعفه أو بجهله المطبق، فيصبح صاحبه، أو بحبه للدنيا، نعم فإذا حب الدنيا وكان عند هذا المبتدع شيء من الدنيا؛ فقد باع دنياه بدينه، فنسأل الله العافية والسلامة،

فالشاهد أن الإنسان صاحب السنة الصحيحة، من قويت في قلبه السنة وعظمت في قلبه السنة، لا يمكن أن يجتمع مع صاحب البدعة إلا في حال واحدة تتصوره فيها، متى؟ إذا جهل، قد يجلس مع هذا وهو لا يعلم، وهذا الذي قال فيه الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: "أرى الرجل من أهل السنة مع الرجل من أهل البدعة يماشيه، أفأهجره؟، لا، أسلم عليه؟، قال: لا، حذر منه، ثم إن رأيته بعد ذلك يماشيه

فألقه به"، فصاحب السنة قد يجهل خصوصاً إذا ما كان من البلد أو جديد عليها وارد ما يعرف، نعم، أو المبتدع وارد عليه جديد، أو الحزبي وارد عليه جديد وهو لا يعرفه، ممكن يجهل يقع ولو كان عالماً، فمثل هذا يُنبه، فإذا نُبّه صاحب السنة الصحيحة ما يمكن أن يقبل صاحب الهوى وصاحب البدعة، فأقول إن هذه الحالة الثانية هي الأخوف على الإنسان؛ وهي المصيبة؛ وهي أنه يصبح من المماشة والمجالسة يصبح بعد ذلك مجانسة له على بدعته فيصبح مثله، وهذا الذي قيل فيه: صاحب ساحب، صاحب ساحب يسحبك إلى: فإما أن تسحب أنت إلى خير وإما أن يسحب إلى شر.

والفرق بين المخالطة وبين المناصحة واضح وبرزخ شفاف، ولا بد أن يُنبه له؛ فإن المناصحة لا تقتضي الخلطة، المناصحة إذا ادّعى بعضهم أنه ينصح هذا الحزبي أو هذا المبتدع أو صاحب الهوى، نقول له المناصحة لا تستدعي الخلطة ولا تستلزم الخلطة، بابها باب واضح، فأنت قد تنصح له في مجلس قد تنصحه في رسالة قد تنصحه في هاتف، قد تنصحه مثلاً في صف دراسي ضمك وإياه؛ لكن أن تكون جليس معه تماشيه، لا، هذه ما هي المناصحة، ولهذا يقولون:

وما ينفع الجرباء قرب صحيحة إليها ** ولكن الصحيحة تجرب

سنة الله الجارية أن الأجرب هو الذي يعدي ما هو الصحيح يصح، الصحيح تحطه بين الدواب الجرب ما يصححها لكن هي تجربته، نعم، ولهذا قال القائل ابن عبد القدوس في بائيته الشهيرة وهي جميلة جداً يقول:

واحذر مصاحبة فإنها تعدي كما يعدي السليم الأجرب، نعم

وتوقى من شر النساء خيانة إن النساء مكائد لك تنصب.. نعم

إلى غيره أو إلى آخره في القصيدة، القصيدة جميلة، كل بيت منها حكمة بمفرده، وينبغي لنا أيضاً مثل هذه المناظير التي فيها الحكم أن يجتهد الإنسان بقدر استطاعته في حفظها بعد حفظ كتاب الله -تبارك وتعالى- والاعتناء به وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فإنها معينة له في الفهم والكلام والتفسير وترويق المجالس وتحلية المجالس، فالشاهد: أن سنة الله الجارية أن الأجرب هو الذي يعدي الصحيح، ما علمنا أن صحيحاً صحح أجرباً؛ لكن الذي نعرفه عند العقلاء جميعاً أن الأجرب هو الذي يعدي الصحيح، فيغلب على الظن أنك إذا ماشيته وسأيرته أن ترجع بعد ذلك أجرب، ... نرجع الآن.

يقول: هناك من الطلاب من يبقى في تأصيل نفسه سنوات فلا يحضر لأحد من المشايخ حتى

يسافر؟

ج/ إذاً على من أصّل نفسه، أنا أسأله: على من أصّل نفسه؟، التأصيل يكون على المشايخ، أما الذي يؤصل نفسه بنفسه، فما أدري عنه، كيف يكون؟ فاقد الشيء لا يعطيه، .. نعم،

وهذا كلام غير صحيح وكلام باطل، والواجب على طالب العلم أن يقسم وقته، لطلب العلم الرسمي اللي الآن النظامي يأخذ فيه جزء، والأشياخ ما هم دائمين لك يا ولدي ويا أخي، اليوم أحياء وغداً موتى ينتقلون إلى الله - تبارك وتعالى-، وتأسف وتندم أنك لم تجلس عند الشيخ الفلاني من علماء السنة وأعلام السنة، فالواجب عليك أن تحرص؛ لأن من أعظم طرق التأصيل أن يجلس طالب العلم على علماء السنة؛ فإنك إن بقيت بمفردك لو تقعد مائة سنة ما تأصلت؛ ولكن العلماء يختصرون عليك المسافات ويطوون عنك البعد؛ فيقدمون لك ثمرة أعمالهم، وما كانوا قد حصلوه من أشياخهم، فينبغي لك أن تعني بهذا.

وهذا يقول: حبذا لو تبيين لنا الفرق بين الحزبي والمبتدع؟

ج/ الحزبي هذا الذي انضوى تحت حزب يدعو إليه، ونحن نتكلم عن الأحزاب الآن ونتكلم عليها الحزبية الحزبية، الغالب عليها الأحزاب السياسية؛ كحزب الإخوان المسلمين، الذي انشق من الحزب البنائي هو الأصل انشق منه بعد ذلك الحزب القطبي، الإخوان المسلمين القطبيين وأولئك الحزب الأصل الأم الإخوان المسلمون البنائيون، فهؤلاء لهم حزب سياسي رسمي ينضوون تحته؛ له شعار؛ له رئاسة؛ له منظمة؛ له مكاتب؛ له نواب؛ رؤساء؛ له مدراء في الأقاليم ونحو ذلك، تنظيم سياسي حزبي؛ ولهذا يسمون أنفسهم: حزب الإخوان المسلمين، وهذا الحزب قد يكون تحته أنواع من المبتدعة، فتجد الجهمي تحته، وتجد الرافضي تحته، وتجد الصوفي بشق طرائق الصوفية تحته، وعدّ بعد ذلك بقية النحل ولا حرج، الخوارج تحته، بل تجد أحياناً النصاري تحته، كما هو مبين في كتب هؤلاء؛ لأن هذا حزب سياسي يدعو إلى حكومة وإلى سلطة، فتجد كل من يطمح إلى هذا ينضوي تحت هذا الحزب، فهذا هو التحزب، التحزب على شعار معلوم محدود معروف له ترتيباته المعلومة عند الناس ظاهرة كانت أو خفية،

أما المبتدع، وهذا التحزب في نفسه بدعة، هذا التحزب في نفسه؛ لهذا الحزب بدعة؛ لأن الحزب الصحيح هو حزب الله -جلّ وعلا-، والله -جلّ وعلا- قد قسم عباده إلى قسمين: حزب الشيطان وحزب الرحمن، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]، فحزب الله - تبارك وتعالى - هم الذين مشوا على ما جاء به -صلى الله عليه وسلم-، يوالون ويعادون في ما؟ في الله - تبارك وتعالى -؛ لأن أوثق عُرى الإيمان عندهم الحب في الله والبغض في الله، هؤلاء هم حزب الله، ولهذا يقول فيهم شيخ شيوخنا:

أولئك حق أهل الله حقاً وحزبه ** لهم جنة الفردوس إرثاً وبها

فحزب الرحمن هم الذين يوالون الله ويعادون في الله، فلهذا لا تجد قوما شعارهم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:22]، فهؤلاء هم حزب الله -تبارك وتعالى-،

أما الاجتماع على غير ذلك، هذا هو التحزب المذموم، فنحن يجمعنا دين الله -تبارك وتعالى- الذي بعث الله به سيد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم-، فيجمع بين الصين إلى المغرب إلى أمريكا مادام على طريقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي تركنا عليها ومشى عليها أصحابه فهذا حبيب إلينا، ومن خالفها فليس بحبيب إلينا؛ بل هو مبغوض عندنا ولو كان أقرب قريب، من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، لا تجد قوما، هذا في إيش؟ هذا اللفظ من؟ في الأصول الثلاثة، أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاة من حاد الرسول ولو كان أقرب قريب، فهؤلاء لا يوالون ولا يعادون على هذا المنظار الشرعي، والميزان الشرعي، لأ.. يوالون ويعادون على الأحزاب، ولهذا قالوا: من كان معنا .. كنا وكنا وكنا له ومن لم يكن معنا كنا عليه وكنا وكنا، وهذا قد أنكره أئمة الهدى، كمطرف بن عبد الله الشخير -رحمه الله تعالى- ورضي عنه- وهو من سادات التابعين وجلتهم، لما اجتمعوا في عصره كبار الشيوخ وفي بلده وكتبوا كتابا، ونظموا فيه نحواً من هذا النظم، الله ربنا والقرآن كتابنا ومحمد رسولنا ومن كان معنا على ذلك كنا له وكنا وكنا، ومن لم يكن معنا كنا عليه وكنا وكنا، وكتبوا ذلك في كتاب ثم أرادوا أن يأخذوا عليه البيعة من الجميع، فمر على الأشياخ ووافقوا عليه، حتى انتهى على مطرف بن عبد الله بن الشخير، فلما انتهى إليه قال: لا، لا

أحدث لكم عهداً وقد أخذ الله عليّ عهداً قبله، ثم رد عليهم هذا، وهذا ذكره الذهبي وغيره في ترجمة مطرف بن عبد الله بن الشخير، فكأنك اليوم -التحزب هذا- كأنه اليوم بالضبط سواء للدعوة أو لغير الدعوة، هذا لا يجوز، أنت توالي في الله وتعادي في الله - تبارك وتعالى-؛ فلا يجوز لك أن توالي في الحزب ولا تعادي في الحزب؛ لأن هذا هو التحزب الضيق، أما الحزب الصحيح الذي زكاه الله -تبارك وتعالى- ومدح أهله فهذا الذي بين الله صفات أهله - كما ذكرنا آنفاً-، أما هذا فتجد كما قلنا لكم الروافض والخوارج، وتجد فيه المتصوفة بشتى طرائقهم، تجد فيه الجهمية، تجد فيه المعتزلة، تجد فيه العقلانيين عموماً، تجد فيه - كما قلت لكم - حتى النصارى؛ لأن الرابطة ليست دينية؛ ولهذا قالوا: أن دعوتهم ليست دينية، فلما رأوا الدين في فترة أرادوا أن يركبوا موجة الدين ويلبسوها؛ لكن هيهات هيهات، فالشاهد أن الفرق بين التحزب والابتداع هو هذا، فقد يدخل معهم شخص ممن ليس من هؤلاء المذكورين في الاعتقاد سني يعني ليس بأشعري ولا جهمي ولا صوفي، نعم تمام ولا خارجي ولا.. ولا.. قل ما قلت من أهل الأهواء والبدع، أصله سني، لكن إذا دخل معهم صار حزبياً بعد ذلك مبتدعاً، لماذا؟ لأن ولاءه لهذا الحزب فيرى البدع يبررها أو لا ينكرها، وإذا جئت تنكرها قام بعد ذلك يبررها ويدافع عن أصحابها، يرى أهل السنة والتوحيد يحاربهم، فأبي سنة هذا عنده في الحقيقة؟ هذا هو إن لم يكن من أهل البدع أصلاً في اعتقاده لكنه انضم إليهم فصار منهم حزبياً مبتدعاً، فالواجب على الإنسان أن يحذر من هذا غالية الحذر.

III

س2/ السؤال الثاني: الجرح والتعديل للعلماء فهل للطلاب النقل؟ وإن كان نعم فكيف النقل؟

ج2/ نقول: نعم، لا يجوز أن يكون الجرح إلا من متأهل؛ من عارف بأسباب الجرح وطرائق الجرح التي تدعوا إلى هذا الجرح؛ فإذا لم يكن عالماً فلا يُقبل، إذا لم يكن عالماً بأسباب الجرح ودواعيه وطرائقه، هذا لا يُقبل قوله، فالجاهل بهذه الطرائق لا يعول عليه، وإنما المعول على أهل العلم في ذلك والمعرفة في هذا الباب،

أنت الآن تنظر في نقاد الحديث المتساهل-وهو من نقاد الحديث- المتساهل هل يقبل قوله؟ يقبل؟ ما يقبل قوله، تتركه عنده، المتشدد هل يقبل قوله مطلقاً؟ ما يقبل قوله، القول للمعتدل، فإذا وافق المعتدل المتشدد كان الميزان، وإذا وافق المعتدل المتساهل كان الميزان، لم؟ لأن المتشدد قد يجرح بما ليس بجرح، والمتساهل قد لا يجرح حتى بالجوارح، الأسباب الجارحة لا يجرح بها ويفوتها ويتساهل في ذلك، فالعلم وسط، العدل هو الحق في هذا، فمن لم يكن عالماً فكيف يقبل بعد ذلك منه.

وطالب العلم طريقه في هذا النقل، فإذا تأهل وانتهى إلى سن ومعرفة تؤهله بعد ذلك فلا مانع، والنقل أن يسمع هو من العالم المتأهل، أو يخبره الثقة الضابط، وما أعز هذا اليوم، تقول له: عمرو فيسمعه زيد وينطقه خالد ويكتبه بكر، هو ثقة يعني في نفسه ديانة ما هو كذاب، لكنه ضابط ما هو ضابط، فلا بد أن يكن العدل ضابط، يرويه عدل ضابط الفؤاد؛ إذا قلت له زيد ينقله زيد، عمر ينقل عمر، فالآن كثير من أبنائنا لا تتهمه بالكذب، لا والله، لكن سيء الحفظ، سيء الحفظ، فربما لو بنيت على مقالته هدمت، يعني شيئاً كثيراً وأحدثت شراً مستطيراً، فالواجب التريث والتأني،

فأنا لاجل هذا وما مربى وعانيته في هذه الآونة أقول: لا بد أن يكون الرواية بالحرف ما هو بالمعنى؛ لأن المعنى اليوم تقول له زيد فيسمعه عمرو وينطقه خالد ويكتبه بكر، فلا بد من الرواية بالحرف وإلا حصل شيء كثير من الفساد والشر، فالطالب طريقه النقل والحمد لله الآن قد تيسرت الأسباب، التسجيل نقل، والكتابة نقل، وأيضاً صرت أخاف في الآونة المتأخرة هذه الأيام من التسجيل لأنه صار يقولون يُتر وينصل، ما أدري ماذا يقولون فيه؟، يدبلج، نعم يدبلج، فلا أحسن من الكتب بهذا القلم (..) وتوقع عليه، تشرق وتغرب خطك بيدك مرة، فمثل هذا الذي ينبغي أن يعول عليه، فينبغي لنا جميعاً أن نتوثق في النقل عن العالم الفلاني، هذا باب.

الباب الآخر الذي أحب أنا أيضاً أن أنبه عليه هو: هذا الجانب بالذات أن يكون يا أبنائي هدفنا وقصدنا خالصاً لوجه الله - تبارك وتعالى - ما هو فلان ولا فلان، أن يكون القصد بنصرة الدين والسنة وإعزاز الدين والسنة، لا الانتصار لفلان على فلان أو لفلان على فلان، فلك أن تسال بحاجتك وقدر حاجتك لاستقامة دينك، واستقامة دين إخوانك تحذرهم مما فيه شرهم أو الشر عليهم، وتحثهم على ما في خيرهم والخير لهم؛ فهذا المقصد في الجرح والتعديل: حماية الدين وصيانة الملة واستقامة الأمة، فقام عند ذلك الأئمة بخدمة الدين-وقديماً حفظت بنصرة الدين- ونصح الأمة،

فالمقصد حينما تأتي الفتن ويأتي البلى فيتدخل أهل الحل والعلم في هذا مقصدهم هذين الأمرين: حماية الدين وصيانة الشريعة والملة ونصح الأمة، حتى يبقوا على هذه الشريعة البيضاء النقية التي تركنا عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فعلى الإنسان أن يسأل إذا أراد أن يسأل في الجرح والتعديل، أن يسأل فيما ينفعه وفيما يحتاج إليه وأن يكون باب خير، أما أن ينتقل إلى مقاصد أخرى فهذا يفوت عليه من الخير والتوفيق.

يا أبنائي وإخوتي؛ والتسديد بقدر ما جاءه في نيته من مخالطة، فلان رد عليك تكلم فيك لا يضررك، أنت اجعل نيتك لوجه الله تعالى خالصة ونصرة الدين، لا تنتصر لنفسك، إذا انتصر الدين وقام الدين هذا هو الأصل، نفسك آخر ما تفكر فيه؛ بل النفس أنت مأمور بإزهاقها في سبيل الله -تبارك وتعالى-، فهذا الذي يأتيك وينالك في مقابل خدمتك ودفاعك وذبك عن السنة، والطريقة الصحيحة، هذا من باب الابتلاء فاصبر، ولو كل واحد تكلم فيك -أصبح الكلام- يعني إذا رددت عليه أصبح الكلام يعني يتهم فيه الإنسان لحظوظ نفسه، ينبغي أن يكون ما كان للدين خالصاً (..يتكلم)، ما كان للنفس وحظ النفس أن يترك، والله -سبحانه وتعالى- كفيل بأن يجعل لك لسان صدق في الآخرين، وكفيل بأن يقيض لك مَنْ يدافع عنك في غيبتك، إذا تركت ما يتعلق بشخصك لله -تبارك وتعالى-؛ لأنك إذا قمت لا تقصد إلا نصرة الدين وبيان الدين؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- سيعينك ولو تكلم فيك من تكلم، فأنت إنما تسأل في الجرح والتعديل من أجل ما ينفعك في دينك وما ينفع إخوانك في دينهم، وأما ألا يعني تنتفع أو تثير الفتن بين الناس فهذا صاحبه غالباً ما¹ يوفق للخير ويكون مفتاحاً للشر، نسأل الله العافية والسلامة.



¹ ما يوفق للخير: أي لا يوفق للخير.